

التجديد في السرد القصصي في القرآن الكريم

دودية عبد القادر

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم-

doudiaaek@gmail.com

استلم: 15-07-2026 ، مقبول: 22-07-2026 ، نشر: 26-07-2026

Innovation in the Storytelling Narratives of the Holy Quran

ABSTRACT : *The innovation in Quranic storytelling is manifested in its departure from traditional narrative patterns. As a sacred text, it does not adhere to conventional, linear chronology; instead, it reshapes and distributes story details across different chapters (Surahs) to serve the specific theological and educational context of each passage. This style stands out for its focus on highly impactful, scenic snapshots and a heavy reliance on dynamic dialogue that reveals the inner depths of human character without lengthy introductions. Furthermore, the Quran seamlessly blends historical narrative with moral guidance, employing a vivid imagery and miraculous brevity that sparks the reader's imagination. Ultimately, this transforms Quranic storytelling into a unique, miraculous form of expression—one that transcends ordinary narrative to speak directly to both the heart and the mind at once.*

KEYWORDS: *Narrative Discourse, Characters, Space, Temporality, Innovation.*

الملخص: إن التجديد في السرد القصصي بالقرآن الكريم يتجلى في خروجه عن أنماط الرواية التقليدية؛ فهو نص مقدس لا يلتزم بالتراتب الزمني الخطي المعهود، بل يعيد صياغة تفاصيل القصة وتوزيعها عبر السور لخدمة السياق العقدي بالدرجة الأولى والتربوي لكل موطن في مواطن القصة. يتميز هذا الأسلوب بالتركيز على اللقطات المشهدية المؤثرة، والاعتماد المكثف على الحوار الحيوي الذي يكشف أعماق الشخصيات الإنسانية دون مقدمات طويلة، كما يمزج القرآن الكريم بين السرد التاريخي والوعظ الأخلاقي، مستعيناً ببلاغة تصويرية وإيجاز معجز يحفز خيال القارئ، مما جعل القصص القرآني نموذجاً تعبيرياً فريداً معجزاً، تجاوز السرد المألوف والمعهود ليخاطب الوجدان والعقل معاً في آن واحد.

الكلمات المفتاحية: الخطاب السرد، الشخصيات، الفضاء، الزمن، التجديد

*المؤلف المراسل: دودية عبد القادر

مقدمة:

يحمل السرد القرآني في بنيته وأسلوبه وجهاً من أبرز وجوه الإعجاز البلاغي والبياني، ولم يكن القصص في القرآن مجرد أداة لتسجيل التاريخ أو سرد أحداث مضت، بل جاء بوصفه بنية تعبيرية متكاملة أحدثت ثورة حقيقية وتجديداً جذرياً في مفهوم "السرد" مقارنة بما كان سائداً في الآداب القديمة أو البيئات العادي في سرد القصص.

يقوم التجديد السرد في القرآن على تطويع القصة لخدمة أهداف تربوية، وعقدية، ونفسية، متجاوزاً بذلك السرد الخطي التقليدي الذي يعتمد على البداية، والعقدة، والنهاية الزمنية المتسلسلة للأحداث، فهو أسلوب إلهي فريد لا يهدف لمجرد الحكى أو السرد لأحداث تاريخية، بل يتجاوز بذلك حدود الزمان والمكان ليقدّم رسائل توجيهية، وأخلاقية تربوية بأسلوب فني وبحبكة دقيقة، يتميز بالتركيز على الجوهر، وكسر التسلسل الزمني التقليدي، وإشراك المتلقي عقلياً ووجدانياً في استنتاج العبرة. يمثل السرد في النص القرآني المقدس أبرز المظاهر الفكرية والعقدية، فالتعامل معه ليس كالتعامل مع النص العادي، لما يحمله من عمق دلالي وتماسك بنيوي، يجمع الجمال الأسلوبى والإرشاد الروحي، والعبرة القصصية في آن واحد، فهو لا يسرد لنا نصوصاً لأجل التسلية أو لمجرد المحكاة، بل محملاً بشحنات ووظائف تشريعية تتجاوز سطحية الحكى إلى عمق المعنى والتأثير، تاركاً لمجمل قصصه هرمنيوطيقاً وفلسفة أنطولوجية تعني بالوجود البشري.

تهدف هذه المداخلة إلى تسليط الضوء على التقنيات السردية الحديثة، التي أشار إليها الغرب في التوظيف الزمني للقصة، وكيفية عرضها، فالقرآن الكريم منذ الأزل أشار إليها بل وظفها في سبر أغوار القصة متجاوزاً بذلك كل التقنيات، والوظائف

إلى صيغ متعددة تجمع بين القصة الكاملة، والمشاهد المجزأة، والحوار...؛ فإذا كان السرد الأدبي يقاس على الأغلب بمعايير فنية، فإن السرد في النص المقدس يجمع بين الجمال والإبداع والتأثير وإشراك المتلقي في القصة لأنها تخصه وما هي إلا مثال قُدم له للعبارة.

تروم أهمية هذه المداخلة إلى الكشف عن جماليات السرد القرآني، من خلال التقنيات المستخدمة لتحليل البنية السردية، واستنطاق المعاني المخبأة للوقوف عند مقاصد النص، وتأويل دلالاته العميقة من وراء القصة، كما تسعى هذه الأوراق إلى تصور نقدي يفك آلياته الفنية ورموزه الدلالية مراعيًا بذلك الحمل البلاغي والأسلوبي، والفني المقصدي.

تمخض عن هذه الدراسة مجموعة من التساؤلات محاولًا بذلك الإجابة عنها بطريق الأمثلة التطبيقية في تحليل التقنيات الحديثة والسابقة في الوجود داخل النص القرآني المقدس، والتي يمكن إجمالها:

- ما هي الخصائص السردية التي علت بها البنية السردية القرآنية؟.
- كيف تم توظيف الجمال السرد في تحقيق القيم الدلالية داخل النص القرآني؟

- ما هي التقنيات السردية الحديثة التي وظفها النص القرآني لتحقيق الغاية الجمالية والتأثيرية؟
- منهج الدراسة:

تعتمد هذه المداخلة على المنهج الوصفي، في تتبع البنية السردية ومكوناتها لفهم القصد من القصة، مع تحليل وتقديم القراءة التأويلية في عملية إشراكية مع المتلقي لفهم العتبات التي تركها الله ﷻ لاستنطاق النص القرآني من خلال السرد القصصي

المقدم له، مع استثمار المفاهيم السردية الحديثة والكشف عن كيفية تم توظيفها في السرد القرآني، مع مراعاة خصوصية النص المقدس والمرجعية الدينية الإسلامية.

➤ مقومات الخطاب السرد القصصي في القرآن الكريم:

إن المتأمل لمقومات الخطاب القصصي في القرآن الكريم ليجد بنية جمالية متكاملة، تلتقي فيها غاية الهداية والعبرة الوعظية بالصياغة الإعجازية الفريدة، فطبيعة الحدث في السرد القصصي القرآني قد يتغير من متلق للآخر، في حين يجد الأول أن الحدث مألوف وطبيعته متوقعة لكن قد يتخللها الانزياح كقصة البقرة فالحدث مألوف واللون متغير، وشبيه ذلك قصة نوح عليه السلام فالحدث مألوف والعبرة من القصة من مخالفة الأمر المطلوب وعدم الامتثال للتكليف الصادر من النبي ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا﴾ (سورة هود، 42) كل ذلك في بناء متكامل لحدث وشخصيات وزمان ومكان، فالحدث الذي صاغ القصة غير مألوف في تلك الحقبة الزمنية، ولم يشهد له مثل حتى تتحقق النبوة والرسالة العالمية، فقد يتشكل الخطاب القرآني القصصي في أشكال قد تكون مألوفة ويتخللها الانزياح، أو تهيئة القوم لحدث غير مألوف ونتيجته غير متوقعة وهذا ما مثلته قصة نوح عليه السلام مع الطوفان، وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن الكريم من تحول الجماد لشيء يبعث فيه الروح كسردية الحبل في قصة موسى عليه السلام، أو التحقق غير المألوف في سردية يوسف عليه السلام نهاية غير متوقعة لإخوته.

➤ بنية الحدث السرد في القصة القرآنية:

الحدث هو العمود الفقري لأي بناء سردي، فهو "صورة بنيوية يرسمها نظامها القوى في وقت من الأوقات وتجسدها أو تتلقاها أو تحركها الشخصيات الرئيسية" (زيتوني، 2002م، ص74)، فالأحداث هي تلك السلسلة المتتابعة من الوقائع المتصلة

والمترابطة التي تدور حول محور تقوم عليه حتى يؤول الأمر إلى ما يراد من السرد... وتتسم بوحدة السياق والدلالة والتتابع، وتتلاحق من خلال بداية ووسط ونهاية، أي من خلال نظام نسقي من الأفعال، لذلك يلجأ القاص إلى إظهار ما يسمى بالعقدة أو الحبكة التي هي "مجموعة من الوقائع الجزئية مرتبطة ومنظمة على نحو خاص، وهي مجموعة الدوافع أو البواعث أو الموضوعات الدالة التي تميز تخطيطات الشخصية وصراعاتها ومقوماتها" (النطاح، 2013، ص 105). وفي القرآن الكريم يتميز الحدث بخصائص نوعية تخرجه عن الرتبة والتتابع الزمني التقليدي.

تدور أحداث النص القصصي في القرآن الكريم بين:

• الاختزال: لا يهتم السرد القرآني بالتفاصيل التي لا تخدم المقصد من القصة، بل يركز فيها الخطاب على المفاصل الحركية الكبرى للقصة؛ ففي قصة يوسف عليه السلام، ينتقل السرد مباشرة من رؤيا يوسف إلى مؤامرة الإخوة، مخترقاً فترات زمنية طويلة في كلمات معدودة.

• الخرق الإعجازي أو ما يسمى بالحذف: مثل نجاة إبراهيم من النار، أو انشقاق البحر لموسى عليهما السلام دون التطرق إلى التفاصيل، هذا الخرق يخلق صدمة سردية تزيد من يقين المتلقي وتكسر أفق توقعه.

• التداخل والربط: ترتبط الأحداث برباط وثيق يجمع بين العمل البشري والمشئنة الإلهية، مما يجعل كل حركة في السرد تحمل بعداً عقدياً يرسخ مفهوم الحكمة والتدبير الباطن خلف الظواهر.

أما شخصيات في السرد القرآني فكلها تتحرك كنموذج إنساني يحمل قيمة فكرية أو سلوكية محددة، ويتم تصويرها بدقة متناهية تتجاوز الوصف الجسدي الظاهري إلى الأعماق النفسية، وتدور حول وحدة الحدث التي هي: "تركيز الحقائق حول حقيقة جوهرية أو فكرة عامة، أو شخصية أساسية تتعلق بها الحقائق والأفكار، وشخصيات أخرى" (غنيبي، 1997م، ص 510).

➤ فضاءات السرد:

المكان: لا يعمل المكان في القصة القرآنية كخلفيات جامدة الدلالة، بل هو عنصر يسهم في توجيه دلالة الخطاب السردى وقد يتعدى الدلالة السطحية من كونه مجرد فضاء جغرافيا أو ديكورا تجري فيه الأحداث، إلى ديناميكية مرنة تتفاعل، وتضيق، وتوسع، وتتغير قيمتها الرمزية تدرجاً مع الحدث.

يمكن حصر تمثيلات المكان في النص السردى القرآنى إلى أربعة أنماط:

1- المكان النفسى: في هذا النمط، يتخلى المكان عن أبعاده الهندسية الثابتة ليتماهى مع الحالة النفسية للشخصية؛ فيضيق المكان الواسع بالخوف والذنب، ويتسع المكان الضيق بالسكينة والإيمان.

مثال عن ضيق المكان الواسع يقول تعالى ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ (سورة التوبة الآية 118). هنا يتلاشى اتساع الأرض الجغرافى أمام وطأة القلق والندم النفسى، ليتحول الفضاء الممتد إلى سجن حسي ضاغط.

اتساع المكان الضيق (المكان النفسى): في قوله تعالى: ﴿فَأَوْوَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّنْ رَّحْمَتِهِ وَيُرِيْكُمْ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مَّرْفَقًا﴾ (سورة الكهف الآية 16)، فالكهف بطبيعته مكان ضيق ومظلم وموحش، لكن الإيمان يقلب هذه المعادلة المادية: بمجرد دخول الفتية إليه، تحول الكهف الضيق إلى فضاء ممتد يتسع لرحمة الله ورعايته.

2- المكان المقدس: والمتمثل في الواد المقدس، المسجد الحرام، الحيز منه كالمحراب وهو مكان أداء العبادة.

3- المكان الجغرافى السياسى: والمتمثل في حاضنة مصر، وباب في قصة هاروت وماروت.

4- المكان الغيبى: وهو الجنة والنار ودلالاتها العميقة.

➤ الزمن السردى في القرآن الكريم:

لم يعرف الزمن تعريفاً وافياً وشاملاً لتشعب مستوياته وتداخل عناصره المشكلة لحدث القصة، فقد ترتبط عملية السرد بالزمن ارتباطاً لا مناص منه، فلا وجود

لحدث سردي دون تدخل الزمن في سيره، ولهذا يكون السرد من أكثر الأنواع الأدبية التصاقاً بالزمن؛ فوجوده داخل القصة أو العمل يحرك الرموز والشخصيات لتعطينا أبعاداً دلالية، ومكوناً هندسياً يوضح لنا هرم البنية السردية، ويحمل الوحدات المتباعدة والمتقاربة على حركة الانسجام، كما يسعى إلى إظهار العقلية المنطقية التي تقرب المنجز القصصي إلى المتلقي. فقد عرفه أندري لالاند "على أنه ضرب من الخيط المتحرك الذي يجري الأحداث على مرأى ن ملاحظ هو أبداً في مواجهة الحاضر" (مرتاض، 1998م، 178).

يُشكّل السرد في القرآن الكريم رافداً أساسياً من روافد الإعجاز البياني والبلاغي، فالقصة القرآنية ليست مجرد توثيق تاريخي جاف يسير وفق خط زمني صاعد أو تقليدي (كرونولوجي)، بل هي بنية فنية محكمة تُعيد تشكيل الزمن لخدمة أهداف عقائدية وتربوية.

إن دراسة "الزمن السردى (Narrative Time)" في النص القرآني تكشف عن حركية مذهلة تتجاوز الرؤية البشرية الضيقة للوقت، حيث تتداخل الأبعاد الثلاثة (الماضي، والحاضر، والمستقبل) وتذوب الحدود الفاصلة بينها ليتماهى "زمن الحكاية" (الواقعي الخارجي) مع "زمن الخطاب" (اللفظي الفني).

يُشكّل السرد في القرآن الكريم بنية فنية وإعجازية بالغة الدقة والجمال، فالقرآن "ليس كتاباً تاريخياً يسرد الأحداث والوقائع التاريخية وفق تسلسل كرونولوجي (زمني متتابع) جاف، بل هو خطاب وحياني يعيد تشكيل الزمن وفق مقتضيات بلاغية ودلالية وعقائدية" (قطب، 1965م، ص 112).

إن دراسة "الزمن السردى (Narrative Time)" في النص القرآني تقتضي سبر كنه العلاقة بين "زمن الحكاية" (الأحداث الواقعية) و"زمن الخطاب" (الصياغة اللغوية والترتيب السردى)؛ حيث يتلاعب النص بالفجوة بين هذين الزمنين عبر تقنيات الحذف والتلخيص والمشهد والاستباق، محققاً بذلك إعجازاً بيانياً يهر العقول (فضل، 1992، ص 85).

أضع بين نظراتكم قراءة مفصلة وموسعة والمتعلقة بمظاهر التجديد في السرد القصصي في السرد القرآني وآلياته الفني:

إن التجديد في السرد القصصي القرآني لم يكن عشوائيا بل خضع لدقة فنية على سبي المثال:

1. السياق العام للسورة: إذا كان سياق السورة يتحدث عن القوة والبطش والنصر، تأتي ألفاظ القصة وجملها قوية وقصيرة ومزلزلة (كما في سورة النازعات). وإذا كان السياق يتحدث عن الرحمة والمناجاة واللفظ، تأتي الألفاظ لينة وممتدة (كما في سورة طه)

2. تغيير زوايا الرؤية: في كل مرة يعاد فيها سرد جزء من القصة، يتم التركيز على زاوية مغايرة؛ تارة من زاوية مواجهة الطغيان، وتارة من زاوية البناء النفسي للنبي، وتارة من زاوية مصير القوم الطغاة، هذا التلوين يجعل القصة متجددة الحيوية في كل موضع، كقصة موسى عليه السلام فنجد في سورة "طه" كيف كان الله سبحانه يهدي من روعه والاضطراب النفسي الذي كان عنده، فيخاطبه في مشهد الإلهي الرقيق الحاني عند اللقاء الأول ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ (سورة طه الآية 12-13)، يُشير الزمخشري في "الكشاف" إلى أن سياق طه "بُني على الرفق والأنس وتدريب الموحى إليه ليتلقى أعباء الرسالة بروح هادئة مطمئنة، لذا خلت الآيات من مظاهر الترويع والشدة المذكورة في مواضع أخرى، وحلّ محلها الإيناس واللفظ وعرض مشاهد الطفولة الحانية" (الزمخشري، 1987م، ج3، ص55).

وفي سورة الشعراء قائمة على السجال والمحاكاة، والدفاع عن منصب الرسالة ضد اتهامات فرعون؛ لذا تركزت السورة على مشهد الحوار العلني الحاد وكسر كبرياء الطاغية بالحجة الدامغة.

يبدأ فرعون بالاستخفاف والتذكير بالماضي وإلقاء التهمة الأخلاقية: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة الشعراء الآية 18-19).

فيجيبه موسى بقوة وحسم دون مواربة: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ * فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (سورة الشعراء الآية 20-21).

يُبين ابن عاشور في "التحرير والتنوير" (المجلد 19، ص 98) تفرد هذه الزاوية بقوله: "إن قصة موسى في الشعراء هي أطول حوار سجالي محبوب بين الحق والطغيان، فالآيات تبرز قوة الجواب وإفحام الخصم وتفنيد دعاوى الإلهوية المزيفة خطوة بخطوة، لتكون نموذجاً عملياً للمؤمنين في مقارعة الباطل بالحجة والبيان" (ابن عاشور، 1984، ج 19/ ص 98).

وهكذا تماشيا مع القصة في القرآن الكريم في كل موطن وموضع تتغير الرؤية التعبيرية والصورة المشهدية فتجدد الحقيقة العميقة ويتجلى الموضوع بعيدا عن التكرار الممل للمشاهد، فدقة التصوير المشهدي ونقل الحوار الدائر بين الشخصيات، وتسليط الضوء على الشخصية الرئيسة، وإرساء الحقيقة العقدية، والجمال الإعجازي الحاصل في أرض المشاهد هو أقصى ما وصل إليه السرد الحديث بتقنياته.

3. التجديد في رسم الشخصيات وأبعادها النفسية

لم يتعامل السرد القرآني مع الشخصيات كرموز صامتة أو نماذج مسطحة، بل رسمها بأبعاد ثلاثية (مادية، واجتماعية، ونفسية) وبعبرية إيجازية مذهلة.

• الحوار النابع من أعماق النفس: يُعد الحوار في القرآن الأداة الرئيسية لرسم الشخصية، من خلال كلمات معدودة، تظهر طبائع الشخصيات، كحوار النبي إبراهيم عليه السلام مع أبيه آزر؛ يتجلى أدب النبوة والابن البار في تكرار ﴿يَا أَبَتِ﴾ المقابلة بالجفاء والتهديد من الأب ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾.

• **تصوير الصراع النفسي الداخلي:** تخترق عين السرد القرآني الحجب لتكشف ما يدور في الصدور. في قصة أم موسى ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ (سورة القصص، الآية 10)؛ تصوير بليغ للحظة إنسانية فارقة تمزج بين الخوف الفطري والأمل الإلهي. وفي قصة امرأة العزيز ويوسف، يتجلى الصراع بين الشهوة والسلطة من جهة، والعصمة والتقوى من جهة أخرى، في لقطة حركية ونفسية مكثفة ﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ (سورة يوسف الآية 23).

التصوير الفني والتشخيص:

جدد القرآن الكريم الأسلوب التعبيري النثري عبر الاعتماد على "التصوير" كأداة إقناع عقلية وعاطفية في آن واحد.

• **تحويل المعاني الحركية إلى مشاهد حية:** السرد القرآني يجعل الكلمات صوراً تراها العين، في قصة الطوفان ونوح عليه السلام ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ (سورة هود الآية 42)؛ هنا لا يخبرنا النص فقط أن الماء كان غزيراً، بل يجسد حركة السفينة وسط أمواج مرعبة كأنها كتل صخرية متحركة.

• **الطبيعة:** عناصر الطبيعة في السرد القرآني فواعل حقيقية تشعر وتستجيب، النار تصبح برداً وسلاماً، والبحر ينفلق فيكون كل فرق كالطود العظيم، والأرض تبلع ماءها، والسماء تقلع، هذا التجديد في نقل الطبيعة من مجرد مسرح جامد تقع عليه الأحداث، إلى شخصية تشارك في صنع الحدث بأمر خالقها.

4- من ناحية الزمن السردى للقصة:

1. تقنية "الفاش باك" (الارتداد الزمني) والاستباق:

في الرواية الحديثة، يُحتفى بتقنيات اللعب بالزمن كدليل على نضج الأسلوب، وفي القرآن الكريم استخدم هذه التقنيات قبل قرون طوال لربط الأسباب بالمسببات وتعميق الأثر النفسي.

• **الارتداد الزمني (Flashback):** في سورة طه، يقف موسى عليه السلام في وادٍ مقدّس يتلقى التكليف الإلهي المرعب والمفاجئ ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ (سورة

طه، الآية 43) هنا تصيب موسى رهبة بشرية طبيعية، لتثبيت فؤاده، يقطع السياق السردى الحاضر ويرتد فجأة إلى الماضي البعيد ليذكره بنعم قديمة حمت طفولته: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ * إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ﴾ (سورة طه، الآية 37) هذا الانتقال الزمني ليس حشواً، بل هو مستدعى نفسياً لتهدئة روع البطل في الحاضر عبر تذكيره بالرعاية الإلهية في الماضي.

الاستباق الزمني: (Prolepsis) كشف الأحداث المستقبلية قبل أوانها لغرض تشويقي أو تعليلي. في قصة يوسف عليه السلام، تبدأ السورة برؤيا الصبي ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ (سورة يوسف، الآية 4) هذا الاستباق يضع المتلقي في حالة ترقب مستمر، كيف سيصل هذا الطفل الملقى في البئر إلى سدة الحكم لتتحقق رؤياه؟ كل أزمة يمر بها البطل تصبح مشوقة لأننا نعرف النهاية مسبقاً ونريد معرفة "كيف" ستحدث.

التقطيع الفائق أو ما يعرف اليوم (المونتاج السردى):

يتميز السرد القرآني بقدرته على الانتقال بين الأمكنة والأزمنة عبر لمحات خاطفة تُسقط "الزمن الميت" وتُبقي على "الزمن الدرامي" المشحون، فتستعمل هذه "التقنية لضغط مساحات زمنية طويلة ممتدة لسنوات أو عقود في كلمات معدودة وسريعة، بهدف العبور الخاطف نحو عقدة أو مشهد محوري تالي" (بطل، 1981، ص 74).

مثال من قصة سليمان عليه السلام في سورة النمل: يطلب سليمان إحضار عرش ملكة سبأ يقول الله سبحانه وتعالى ﴿قَالَ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ (سورة النمل، الآية 39)، المشهد التالي مباشرة ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ (سورة النمل، الآية 40) ففي السرد التقليدي، ستحتاج الرواية إلى جمل مثل: "فانطلق العبد، وحمل العرش، وقد لاقاه في الطريق مالاقيه، ثم عاد به ودخل مجلس الملك ووضعه..."؛ فالقرآن اختصر كل هذه الحركة المادية بين البلدان في الفراغ الأبيض بين الكلمتين "طَرْفُكَ" و"فَلَمَّا رَأَاهُ"، هذا هو "المونتاج الخاطف" الذي يبرز الإعجاز والسرعة دون ترهل لفظي

كذلك قصة يوسف عليه السلام، نجد فجوة زمنية شاسعة تختصر في كلمات يسيرة ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ*وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (سورة يوسف، الآية 21-22) اختزل النص سنوات الطفولة كاملة والنشأة والتربية والنمو في قصر العزيز بين الجملتين (بطل، 1981، ص 78). تجاوز النص تفاصيل الطفولة لأنها لا تخدم البناء السردى الذي يمهد لعقدة الابتلاء بالفتنة والشباب، مما يعطي القصة حيوية ورشاقة.

(التشخيص والتخييل الفني)

من أسرار التجديد السردى القرآنى إشراك البيئة المحيطة وجعلها عناصر درامية تتفاعل مع الأحداث وتتخذ صفات الكائنات الحية.

• مشهد الطوفان (سورة هود) القصة لا تسرد فقط غرق الأرض كحدث جيولوجي، بل تدير معركة حية تنتهي بأمر عسكري حازم موجه لعناصر الطبيعة التي تُشَخَّص كعقلاء يطيعون الأمر ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ (سورة هود، الآية 44)، فالأرض تشرب، والسماء تمسك، والماء ينقص، والأمر يُنفذ. هذا التشخيص يختصر نهاية حضارة كاملة وبداية أخرى بمهابة وجلال لا تدركه الأساليب السردية التقليدية.

• مشهد النار مع إبراهيم عليه السلام (سورة الأنبياء) بدل أن يقال 'فأبطل الله مفعول النار' تحرك سير السرد عبر حوار موجه للجماد ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (سورة الأنبياء، الآية 96) فتحوّلت النار من أداة تعذيب إلى مخاطب عاقل يستمع وينفذ الصفة 'النقيضة لطبيعته'.

6. التداخل السردى (قصة داخل قصة):

اعتمد القرآن أسلوب الإدماج السردى، حيث تنبثق قصة فرعية من داخل القصة البيئية الكبرى لتضيء جانباً خفياً.

• قصة موسى مع الخضر (سورة الكهف) نحن هنا أمام بنية سردية عجيبة؛ القصة الإطار هي رحلة موسى طلباً للعلم، في داخل هذه القصة تتولد ثلاث قصص فرعية قصيرة جداً خرق السفينة، قتل الغلام، بناء الجدار؛ فكل قصة فرعية تأتي مشحونة بعقدة سريعة واستنكار من موسى، ثم تنغلق القصة الفرعية ليعود السرد إلى الإطار الأول (الحوار والرحلة)، حتى يصل إلى النهاية التي تكشف تأويل هذه القصص المصغرة، فهذا البناء المعقد يكسر تماماً الملل، ويشد انتباه المتلقي لمتابعة مستويين من الأحداث في آن واحد.

الخاتمة:

إذا أردنا تلخيص الفارق الجوهرى؛ فإن السرد البشرى التقليدي يسرد "ليخبرنا بما حدث"، فيقع في أسر التفاصيل الطولية المملة، أما السرد القرآني فيسرد "ليجعلنا نرى ونعتبر"، مستخدماً الحذف الذكي، والتقطيع البصري، وتلوين العبارة بحسب السياق النفسى، وهو ما جعل القصة القرآنية نموذجاً تعبيرياً فريداً ومتجدداً، يتجاوز الزمن والقوالب الأدبية الجامدة.

إن التجديد في السرد القرآني لم يكن مجرد ترف أسلوبى أو بحث عن التميز البياني، بل كان ضرورة فرضتها طبيعة الرسالة، فالقرآن يريد صياغة وعي الإنسان وإعادة بناء نظرتة للكون والتاريخ، ومن خلال تخليص القصة من الخرافة، والحشو، والترهل الزمني، وتحويلها إلى لوحات مشهدية تنبض بالحياة، استطاع السرد القرآني أن يظل غزواً طرياً متجدداً، قادراً على محاكاة النفس الإنسانية في كل العصور والبيئات، ليكون بحق البنية التأسيسية التي ألهمت أساليب التعبير الأدبي والفكري في الحضارة الإسلامية وخارجها.

القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم.

- بطل علي، الصورة الفنية في الأدب العربي "إشارات في الزمان والمكان"، دط، دار الأندلس، بيروت، 1981.
- الزمخشري أحمد، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط3، دار الكتاب العربي ببيروت، 1407 هـ 1987 م.
- زيتوني لطيف، معجم مصطلحات نقد الرواية، دط، مكتبة ناشرون، لبنان، 2002.
- ابن عاشور الطاهر محمد، التحرير والتنوير، دط، الدار التونسية للنشر، تونس، 1404 هـ 1984 م.
- غنيمي محمد هلال، النقد الأدبي الحديث، دط، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1997 م.
- فضل صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، دط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992.
- قطب سيد، التصوير الفني في القرآن، دط، دار الشروق، بيروت، القاهرة، 1965.
- مرتاض عبد الملك، نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، دط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998.
- النطاح جاسم محمد حسين، النقد الأدبي في الدراسات القرآنية، ط1، دار الحامد للنشر والتوزيع، دب، 2013.